حكاية الرجل الغامض

هذه الحكاية احتفظت بها ولم أشر إليها من قبل. لأنها واقعة ليست فقط مثيرة للدهشة، وإنما هى شديدة الغرابة فى ترتيباتها، فتناسيتها حتى نسيتها.

والبداية فى نادى الجزيرة، وانا رغم عضويتى القديمة جدا فى النادى إلا أننى لا استمتع به إلا نادرا، وبعد أن هبط فوق صدرى كابوس الحراسة الامنية، وإذ اصبح الذهاب للحلاق مثلا مشكلة فكيف اصطحب معى حارسا مسلحا إلى صالون الحلاق دون ان استثير فضول الناس، وانا الذى تعودت بحكم الاعتياد القديم ايام العمل السرى على الانفلات دون أن يلتفت إلى احد وكان الحل أن احلق عند "صبحي" حلاق النادى.

وذات يوم خرجت من الصالون ووضعت حقيبة اوراق بها بعض تقارير المجلس الشورى على احد الترابيزات ومشيت عدة دورات

حول الملعب وعدت لأجد شخصا انيقا اربعينى العمر جالسا بالقرب من اشيائي. ابتسم وابتسمت، وبسبب ظهورى لعدة مرات فى التليفزيون اعتدت أن يتعرف على البعض ويقتحموننى باسئلة عن "اخبار الدنيا ايه؟" ورأيى فى الموضوع الفلانى واعتدت الاجابة باقتضاب شديد. لكن هذا المبتسم سأل بعد التحية سؤالا غريبا جدا، "حضرتك مش شايف أنها مسألة غريبة ان مذكراتك توزع اكثر من توزيع مذكرات د. بطرس غالي؟"

سألت نفسى هل هذا استفسار أم جر شكل؟ واجبت ببرود لم يدهش المبتسم "والله أنا معرفش مذكراتى وزعت كام ولا اعرف مذكرات د. بطرس وزعت كام، لكن أنا متأكد أن د. بطرس اهم منى الف مرة. فأجاب اجابة اثارت مزيدا دهشتي..وقال "على اى حال انتوا اصحاب من ايام مجلة الطليعة فمجلة "السياسية الدولية" كانت معاكم فى الدور السادس فى الاهرام ايام ما كان د. بطرس رئيسا لتحريرها وتحولت الدهشة إلى فضول، لكننى آثرت الانسحاب حتى لا تفتح ابواب حديث أضيع معها وقتا بلا فائدة مع شخص لا اعرفه.

وتمضى أسابيع وحلقت فى النادى وفيما افلت من بين يدى "صبحي" الحلاق وجدت ذات الشخص واقفا والابتسامة الودودة تفتح أبواب حديث لم اكن اريد أن يفتح لكنه كان يمتلك من القدرة على التودد بشياكه، وتبادلنا التحية وسار إلى جوارى وبلباقة دعانى إلى كابتشينو فى الصالون فالجو حار والصالون مكيف. وفيما

ارتشف الكابتشينو قذف برفق معلومة غريبة "تصور يا دكتور أن احمد نظيف مرشحينه رئيس وزراء" وادهشتنى هذه القذيفة ووجدتنى اجيب "مش معقول" فقال انا كمان رأيى كده، لكن هو فعلا مترشح رئيس وزراء وكررت مؤكدا "مش معقول".

واستأذنت منصرفا عن هذا الشخص الذى اعتقدت انه "لاسع". حلقت عدة مرات ولم يظهر المبتسم ونسيته تماما حتى فوجئت بعدها بحوالى ثلاثة اشهر بأحمد نظيف رئيسا للوزراء تذكرت الرجل، تحسست شعرى كان قصيرا ولست بحاجة للحلاقة، ومع ذلك ذهبت فى ذات اليوم إلى النادى ولم أدهش إذ وجدته، لكن الابتسامة تغيرت، ونبرة صوته ايضا. قال باعتداد "علشان تبقى تصدقنى. وابتلعت تعاليه صامتا. وجلسنا فى الصالون شربنا كابتشينو تحدثنا فى امور سياسية شتي، هو واسع الاطلاع، دقيق العبارات، يعرف كثيرا من تفاصيل تصعب ملاحظتها، ولا أخفى أننى بدأت استمتع بالحوار معه، ورغم أن المعلومات التى تبدو انها تأتى عفوا يصعب أن اتصور أنها كذلك، وانه كان يريد أو هو مكلف بأن يستطلع رأيى لجهة ما فى قضايا محددة، ولأننى لا أعرف من هو؟ ولا مع من يعمل؟ فقد كانت كلماتى دقيقة جدا ومحسوبة جدا وفى احيان ما حاسمة جدا.

عدة مرات التقينا، كيف يعرف مواعيد حلاقتي؟ لم أعرف. هل هو صبحى الذى تتصل به سكرتيرتى لتسأله هل عنده زحمة أم لا.. أم كان الأمر مرتبا بطريقة أخري. ثم أكاد اكتشف أن كل ما

فات كان اعدادا لحوار آخر، فى إحدى الجلسات سألنى بشكل مباشر كيف ترى مستقبل موقع الرئاسة؟ قلت أما أن يجدد مبارك لنفسه، وأن يأتى بجمال. فسأل بجفاف ألا ترى سيناريو آخر؟ وانتظر اجابتى التى جاءت "ربما" وفقط. فأكد هو جازما هناك سيناريو ثالث، وسيأتى بشكل أو بآخر. فماذا سيكون رأيكم؟ ولاحظت أن "رأيك" تحولت إلى "رأيكم" وقلت يتوقف الامر على كيف؟ ومن؟ ولماذا؟ فسأل افهم كيف؟ ومن؟ ولكن لم أفهم "لماذا؟" فقلت لأن التوريث قد يرفض من جهة ما لسبب ما ومن جهة أخرى لسبب آخر تماما. فقال أنا متفق معك، فكروا فى الأمر فهو آت لسبب أول لآخر.

وبعدها اختفى الرجل ذو الابتسامة الودودة.. ثم عدة اشهر وكان ٢٥ يناير.

وعندما دعيت إلى مقابلة مع بعض اعضاء المجلس العسكرى فى اعقاب تنحى مبارك وسفره إلى شرم الشيخ تخيلت ابتسامة هذا الرجل الغامض وسألت نفسى هل سأجده هناك، ولم أجده، ولم أره حتى الآن. ولم أعرف من أين أتي؟ ولا إلى أين ذهب؟